

قصة الهجرة النبوية (٦) حسن مهدي قاسم الريمي



الحمد لله الذي جعل الهجرة فتنةً ونصرةً وعزاً للإسلام وفخرًا للمسلمين. والصلاة والسلام على عبده ورسوله نبينا محمد سيد المرسلين وإمام المهاجرين وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإن الناظر لمقاصد الهجرة النبوية، وأهدافها الاستراتيجية، ليدرك جلياً أن الهجرة لم تكن مجرد انتقال من مكان إلى مكان، ولا تحول من خوف إلى أمان، بل كانت حدثاً أجمع الصحابة - رضى الله عنهم - على أنه يستحق أن يكون الحدث الأكبر فى عصر النبوة الذي تُؤرِّخ به الأحداث الإسلامية على مرِّ العصور لبدء العام الهجرى الجديد.

لقد كان من مقاصد الهجرة النبوية المباركة البحث عن أرض طيبة لغرس بذرة الإيمان والتمكين للعقيدة الإسلامية، وتوفير الأمن للمؤمنين الذين اتبعوا هذا الدين القيم، وإيجاد أنصار أقوياء أمناء يساهمون في بناء مجتمع إسلامي كما أمر الله.

لذلك كان هم النبي - ﷺ - الأول أن يوطد دعائم الدولة الإسلامية الناشئة في إقامة الدين، ونشر الدعوة، وحماية المسلمين، وبناء المجتمع الإسلامي الموحد.

فبعد الإستقبال الحافل الذي حظي به النبي - ﷺ - من أهل المدينة والذي كان له الأثر الكبير في التخفيف عن قلب النبي - ﷺ - ومواساته، شهدت الأيام الأولى من وصوله - ﷺ - إلى المدينة المنورة القيام بعدد من الخطوات المباركة، والتي من شأنها أن تؤمن مستقبل الدولة الإسلامية الناشئة، وتحمي أرضها، وتنظم العلاقات بين أفرادها، فكانت أولى هذه الخطوات:

بناء المسجد النبوي: ليكون المقر الرسمي للدولة الإسلامية، وجامعة يتلقى فيها المسلمون تعاليم الإسلام وتوجيهاته، ومنتدى تجتمع وتتألف فيه العناصر القبلية المختلفة التي تافرت بينها النزعات الجاهلية وحروبها، وبرلماناً لعقد المجالس الاستشارية والتنفيذية. وداراً يسكن فيه فقراء المهاجرين الذين لم يكن لهم دار ولا مال.

ثانياً: بناء حجرات لأمهات المؤمنين: عائشة وسودة - رضى الله عنهما.

ثالثاً: تسوية الأوضاع الداخلية بين الأنصار أوسهم وخزرجهم، والمواخاة بينهم وبين المهاجرين.

رابعاً: دستور المدينة، والذي يسمى: وثيقة المدينة أو صحيفة المدينة، الذي أطنب فيه المؤرخون والمستشرقون على مدار التاريخ الإسلامي، واعتبروه مفخرة من مفاخر الحضارة الإسلامية، وعَلمًا من معالم مجدها السياسي والإنساني.

خامساً: إنشاء سوق لأهل المدينة بعيداً عن سيطرة اليهود على اقتصاد المدينة.

سادساً: التنظيم الإداري للسرايا والغزوات.

هذه أبرز الخطوات والأعمال التي قام بها النبي - ﷺ - بعد وصوله إلى المدينة المنورة.

مُحَمَّدٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا
لَنَفَحْرُ جِبِينَ يَنْتَدِبُ الْفَحَاؤُ

بِكَ انْتَسَحِ الرَّقْمَانَ تِيَابَ عِرٍّ
فَسُجِّعِ النُّورُ وَارْتَفَعِ الْمَنَارُ

فَسَادَ الْحَقُّ وَاجْتَمَعَتْ قُلُوبُ
عَلَى التَّوْحِيدِ وَاتَّحَدَ الْقَرَارُ

بِكَ اجْتَمَعَ الشَّيْءُ وَرَبَّ جُرْحٍ
عَلَى فَافِيهِ يَلْتَمُّمُ الْكِسَاؤُ

وفي ختام هذا السرد المقتضب لقصة الهجرة النبوية، التي أَبَقَتْ عِبَقَهَا الزاهي على مر الأزمان، والذي إمتد الحديث عنها لست مقالات، وقفنا من خلالها وقفاتٍ سريعةً وعابرةً على أهم مراحل حياة النبي - ﷺ - الأساسية التي لازالت تمثل نهرًا متدفقًا للعلماء والباحثين، قديمًا وحديثًا؛ لينهلوا من معينها الصافي، ويرتووا من مائها العذب، ويتفقهوا من دروسها الحية النابضة.

والتي هي محط إعجاب وتقدير من كل من يطالعها، ويتصفح أحداثها، ليس ذلك فحسب ممن آمنوا بنبوته- ﷺ - وشهدوا له بالرسالة، وأقروا له بالعصمة؛ وإنما أيضاً ممن يطالع تلك السيرة من غير المسلمين، ومن غير المؤمنين أصلاً بالوحي والنبوات.

ولا عجب، فالنبي محمد - ﷺ - هو سيد ولد آدم، وهو خاتم أنبياء الله ورسوله، ورحمته للعالمين، ولهذا جاءت حياته النبوية الشريفة منهاجاً للنجاة في الدنيا والآخرة، ونموذجاً عملياً للإسلام، وتطبيقاً حياً للقرآن الكريم.

فحري بنا أن نكون أكثر وفاءً بحق صاحب هذه السيرة العطرة - ﷺ - ونأخذ من ذكرياتها وأحداثها المدد والمعين والزراد، فنرسم لأنفسنا منهج سير ومعلم هداية لإعلاء كلمة الله- تعالى - في الحياة، وننتقل إلى حالة التفعيل والتمثل والافتداء به - ﷺ . فلا نريد أن نقف عند حدود المدح والثناء، بل علينا أن نستصحب مع ذلك العبر والدروس.

اللهم أحيينا على سبب نبيك محمد - ﷺ - ووفقنا لسيرته والسير على منهاجه، وتوفنا على ملته، وارزقنا شفاعته، وأوردنا حوضه، واکرمنا بمرافقته في الفردوس الأعلى.

والحمد لله رب العالمين، وصل اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

حسن مهدي قاسم الريمي